الفصل الرابع
المؤلفين: وان يوسف و نيء فوأد

وداعاً طفلتي...

سمعت حفصة عبارة 'وداعاً طفلتي' على نحو ضعيف بينما كانت في رحم والدتها فاطمة. لقد مرت العديد من السنين عندما فطنت بأن ذالك الصوت يعود لوالدها الغائب,الشيخ عبدالله والذي كان ذاهب لقرية 'كيريسك', جنوب تايلند. ودع الشيخ عبدالله زوجته و أولاده بوجه جامد كبح دموعه هامساً برقة "ان شاء الله ستكون بخير وليبارك الله هذه الطفلة بالعديد من الأطفال". أستطاع الأستشعار بأنها ربما تكون نظرته الاخيرة لأفراد أسرته الحبيبة. ولدت حفصة في الرابع من شهر ربيع الأول عام 1338هـ [27 نوفمبر 1919],العام الذي أخذ فيه أمن 'نويي-سور-سين' وسيغفريد نعمان المكان, قد ولد ملحن.

الشيخ عبدالله الإبن الأكبرللعلامة الشيخ محمد بن إسماعيل فطاني والذي يدعى أيضاً بـ التوك جورو(علماء الدين المدرسين بالحرم) في مكة الشهير الشيخ 'نيء مات كيتشيك'، و قد عاش دائماً تحت رهن إشارة والده والذي كان دائم الحاجة لمساعد شخصي يدير الأعمال له. كان والده رجلاً مهماً و

ذو شأن في مكة لكونه أول مالزي يعينه الحاكم العربي كقاضي مكة. لم يكن ليستطيع فعلها بدون مساعد شخصي مقتدر و مخلص. كما أنها كانت ثقافة عربية عصرية بالنسبة للأبن الأكبر ليكون المساعد الشخصي لوالده, والذي يصرخ على ادنى عذر من غرفته الحصرية –"عبدالله,عبدالله..." بالترتيل العربي الكامل والتجويد. وإن دعاه بـ"دولاّه" او "لاّه" كما نفعل في ثقافتنا المالزية ذات النغمة اللينة, لم تكن لتكون مخيفة جداً. بالنسبة للشاب عبدالله كانت هذه هي القاعدة المقبولة في الثقافه العربية, ما إن تولد كالأكبر سناً حتى يسقط العبء كله على كتفك. أمثال كبار الشخصيات كالشيخ نيء مات كيتشيك لا تراه يشتري كيلو من التمر في الأسواق المحلية من قبل العامة, كان يصرخ فقط من مجلسه في الطابق الأول "عبدالله...." ومامن عبدالله إلا الظهور أمامه على الفور "لبيك...". الأحلى والأكثر اجابات طاعة. لم ير عبدالله أي فائدة من جعل الرجل العجوز غاضب وتركه ينتظر.عبدالله فهم هذا وظل مخلصاً لوالده, على الرغم من انه أحياناً يحسد شقيقه الأصغر الشيخ محمد نور والذي كان قادراً على مغادرة المنزل للدراسة في أقدم جامعة في العالم, جامعة الأزهر في القاهرة.

عميقاً جداً بداخل أفكاره الخاصة, كان الشيخ عبدالله يمتلك الشغف بخصوص شيء ما ولكن لم يكن من الممكن مناقشة هذا الشيء مع والده. في سنة 1914, عندما قام السلطان زين العابدين من تيرينجانو بأداء فريضة الحج مع 15 عضوًا آخر في الوفد المرافق له, تم تعيين الشيخ عبدالله من قبل والده ليكون المضيف للشيخ حاجي. بعد هذا الحج زار السلطان مصر وقبل مواصلة الرحلة إلى بيت المقدس (القدس) أصيب بالمرض واضطر للعودة إلى تيرنجانو.

تيرنجانو كان المكان حيث ولد فيه الشيخ نيء مات كيتشيك عام 1842 في مكان شهير يسمى بولاو دويونج. والآن هي معروفة خارج ماليزيا كمكان لسباق القوارب الشراعية الموسمية. وفي تلك الأيام كان هناك رجل مشهور يدعى توك كو يعيش في بولاو دويونج. لقد كان معلماُ للسلطان. وعلى عكس الممارسة المعتادة حيث يتوقع من المعلم الذهاب إلى 'إستانة' يومياً لتعليم السلطان الشاب, في هذه الحالة السلطان هو من كان يحضر لاخذ تلك الدروس في منزل توك كو في دويونج. لأن تلك كانت الطريقة الصائبة والصحيحة لتلقي المعرفة وفقاً للإمام الشافعي. وأيضاً, بدى وكأنه كره شعبه بسبب وضعهم لأقدامهم بجانب النهر على تربة كوالا تيرينجانو. نظراً لكونه صديقاً مقربًا من السلطان فقد حضر عملاً واحداً في الإستانة, والتي بخلاف ذلك كانت بالنسبة له و لشعبه خارج النطاق لأسباب لا يعرفها سواه.

في الثلاثة أشهر للحج,السلطان زين العابدين الثالث قد كان مولعاً بالضيف الشيخ عبالله الفطاني. قدم عرضاً للشيخ عبدالله لإعادة عائلته إلى تيرينجانو ووعد بمنحه أرض. كانت هذه الأرض تدعى باليك بوكيت تصل الى حوالي أربع فدان والتي بقيت حتى يومنا هذا تراثاً للشيخ عبدالله.

عندما توفي الشيخ نك مات كيتشيك في مكة عام 1915 عن عمر يناهز73, كانت اوروبا تواجه الحرب العالمية الأولى, الشيخ عبدالله الان رب أسرة يبلغ من العمر44 عامًا وجد نفسه في الخلاء. كان لايزال بإمكانه سماع النداء "عبدالله..." كما لو أن والده مالزال حياً و بحاجته لكل شيء. ملابس

أبيه والوسادة حيث كان يجلس عليها كانت تطارد ذكرايات والده الحبيب. وعلى الجانب الاخر, قد حان الوقت لتحقيق أحلامه و والده لم يعد هنا ليوقفه. على الرغم من اعتراض إخوته الشيخ محمد نور والشيخ داوود والأخت الوحيدة المتبقية خديجة, ألقى عليهم الوداع للأبد ليبحر الى تيرينجانو حيث وعده السلطان بالأرض. مكة المكرمة كانت قريبة جدا من منطقة الحرب على الرغم من أن الحرب العالمية الأولى قد إنتهت للتو.كان بإمكانه أن يشعر بأن الحرب العالمية الثانية قادمة.

كونه شخص متحفظ,كان لدى الشيخ عبدالله مخططات أخرى بالفعل.تيريجانو لم تكن له, لكنها كانت ملاذاً أمناً لعائلته. في عام 1919, أبحر الى تيرينجانو مع زوجته سيتي (فاطمة بنت عبدالرحمان) والتي حقيقتاً ولدت في لوسونج تيرينجانو لكنها نشأت في مكة المكرمة. قد يكون هذا العامل هو الذي أقنع الشيخ عبدالله بإعادة عائلته إلى تيرينجانو. الأطفال الذين ولدوا جميعاً في مكة, شيخ يحيى (8 سنوات), أسيآ (6 سنوات), مهد كامل (5 سنوات), ميمونة (4 سنوات) متتابعة. سيتي كانت حامل بأصغر أطفالها حفصة في ذلك الوقت.

تلقى الشيخ عبدالله تعليمه من خلال دورات دراسية منزلية قام بها والده المعلم الذي تلقى علمه من الشيخ الشهير داوود الفطاني, عمه الكبير. ونحن في غنى عن القول بأنه أضطر الى الجلوس في كل حصة كوليا أجراها والده. على الرغم من أن كتابات الشيخ نيء مات كيتشيك كان من بينها ‘مطلع البدرين’ وكانت في موضوع الفقه، المسائل الحالية الأخرى التي تنطوي على نضال المسلمين في باتاني كانت ستناقش. كان قد سمع عدة مرات أن بعض علماء مكة المشهورين كانوا محظوظين لأنهم نجوا من

الإعدام على يد ملك الصيام. و قد سمع عن مسجد كامبونج كيريسك غيرالمكتمل في باتاني وعن أقارب والده الذين ما زالوا على قيد الحياة ولكنهم يعيشون في خوف وفقر.

وكان قد سمع عن الحاج سولونج من باتاني والذي ‘إختفى’. لا أحد يعرف حقيقة ما يحدث في رأسه في ذلك الوقت لأنه لم يتحدث ولا حتى لزوجته سيتي.

بعدما استقرت عائلته على الارض الموعودة ‘باليك بوكبت’, لم يضيع المزيد من الوقت في الإعلان لزوجته أنه سيتوجه إلى باتاني, لم يستطع انتظار ولادة ابنته الصغرى. لم تكن سيتي ولاحتى أولاده الصغار يتلك الشجاعة الكافية لطرح أكثر الأسئلة جوهرية "لماذا؟" ولا حتى تجرأوا على البكاء أمامه. بعد كل الطرق الصارمة التي ترعرع بها جعلته يبدو ‘بلا قلب’. ربما على الرحلة الى باتاني,عندما كان الأخرون نيام, كان يبكي قلبه بلا خجل لأن باتاني لم تكن مكاناً أمن, كان هنالك أحتمال أنه قد لا يرى أي من أفراد أسرته مرة أخرى إلى الأبد. لقد فعل هذا على الأرجح لتحقيق رغبته في ألا يختبر ابنه يحيى ما مر به – الاعتماد الزائد بين الاب و الابن.

تلقت سيتي الأنباء المحزنة بعد ثلاثة أشهر بأنه كان مريضاً في باتاني. على الرغم بأنها في ذلك الوقت كانت في شهرها السادس من الحمل, جمعت سيتي جميع الأطفال على عجل و أستفسرت عت أقرب قارب ممكن ليغادر الى باتاني. في تلك الليلة أبحروا الى باتاني على أمل أن يكونوا مع الأب الذي فقدوه بهدوء لعدة أشهر. على الأرجح أن سيتي أعتقدت انها و لربما يمكنها أن تقنعه بالعودة الى باليك بوكيت معهم الى الابد.

استغرقت السفينة يومين للوصول الى ميناء باتاني, كان الليل قد حل عندما أعلنت صافرات السفينة دخولهم للميناء. بالرجوع الى الغرفة المستأجرة من قبل الشيخ عبدالله والذي كان محاطاً بالعديد من الاصدقاء المقربين وأبناء أعمامه من جانب والده. كان المشهد فوضوياً حيث لاحظ أصدقاؤه وأبناء أعمامه حاله عبدالله المتدهورة والخوف من أن الوقت لم يكن بجانبه. عند سماع صوت صافرة السفينة, تمكن عبدالله من وضع ابتسامة على شفتيه وقال يهدوء "الله أكبر, لقد دخلت السفينة, عائلتي بالفعل هنا". ولكن قبل أن يتمكن أفراد عائلته من الوصول الى المنزل كان قد اصبح بين يدي الله أمنا بالفعل. سبحان الله, الله وحده يعلم أن أفضل ترتيب هو أن عبدالله و احبائه لن يروا بعضهم مرة اخرى على الرغم من انه لايفصل بينهم سوى عدة ساعات. إنا لله وإنا إليه راجعون.

النزول من السفينة بأربع صغار مع امتعة لتحملها لم تكن النهاية لما تقاسيه الأم الحامل اليافعة. وفقأ للخالة ميمونة, يجب عليهم المشي لمسافة تقدر بـ ميلين في الظلام الى المكان الذي كان والدهم ينتظرهم فيه. عندما وصلوا, استقبلتهم الصيحات والعويل إشارة الى أن الوقت قد تاخر قليلاً. كان في 21من شهر أغسطس عام و1919, تركهم عن عمر يناهز 48 عامًا فقط, حيث عاش الشيخ عبدالله الفطاني في مكة المكرمة طوال حياته, لكنه عاد أخيراً إلى أرض اجداده ليتم وضعه في مكان راحته النهائي, أرض المسجد الغير مكتمل الشهير كامبونج كيريسك بجوار قبر العلامة المشهور عبدالصمد الفطاني.

بقيت العائلة في باتاني جتى أنجبت سيتي حفصة ابنتها الأخيرة. كان لديها بعض الوقت للتفكير في ما يجب القيام به بمستقبل الأسرة. ثم كان لديها خيار البقاء في كامبونج كيريسك باتاني مما سيرضي أبناء عم زوجها وأعمامهم و عماتهم. أو يمكنها العودة الى باليك بوكيت تيرينجانو حيث سيكون أقرباؤها في لوسونغ وبولاو مسانغ متاحين لمساعدتها. لكنها لم تعلم بأن في ذلك الوقت علاقة البطريرك في مكة ستتخذ جميع القرارات عنها.